العطور في حضارة بلاد الرافدين
– عرض موجز –

أ . د . احمد محمد طنش الشويلي & أ . م . د . مهند عاشور شناوة

جامعة القادسية / كلية الاثار

الحقيقة التي يعلمها الجميع ويعترف بها أكثر البشر على اختلاف قومياتهم وأجناسهم ان اختلاف أذواق الناس في موضوع الجمال ومن وقت الى آخر ومن حالة الى أخرى وهذه الحقيقة هي التي جعلت اذواق البشر تختلف في رؤيتها للجمال فلو اتفقت اذواق الناس حول مقياس الجمال لانتهى الجمال[١] .

وفيما يخص سكان بلاد الرافدين فان المعلومات المتوفرة لدينا تؤكد انهم لم يكونوا قد وضعوا فكرة محددة الى الجمال ولكن معتقدهم التي تخص الجمال والظواهر الجميلة لم تبتعد عن الاشياء التي تخدم وترفع من حياة الانسان والحياة على نحو عام حيث انه النصوص المسمارية التي يعود ظهورها الى بداية الألف الثالث ق . م . قد بينت لنا ان العلامة المسمارية التي دونت بوساطتها كلمة " جمال " تعبر عن المعاني الاتي (عنفوان الحياة ، والحلال ، والوقار ، والنبل ، واللقب الرفيع ، والعضو التناسلي الانثوي) وهذه المعاني المختلفة تجعلنا نفترض ان سكان بلاد الرافدين قد وجدوا ان الجمال في الصحة والاخلاق وفي العيش الكريم والسيادة وفي اشباع الغريزة الجنسية اي استمرار حياة الانسان بقوة وانفة وكمال ومعطر بأجمل العطور التي في هذه الحياة ومن هنا نبدأ [٢] .

في البداية لابد ان نشير الى انه سكان بلاد الرافدين قد امتلكوا العديد من المعارف والعلوم بعد ان استطاعوا ان يتعرفوا على بيئتهم وما يحيط بهم وعرفوا كيف يتعاملوا مع كل ما يحيط بهم بطرق ذكية فبرعوا في استخدام ما يحيط بهم ولقد تطورت معارف وعلوم سكان بلاد في مختلف العلوم ومنها علوم الكيمياء .

ان مصدر معلوماتنا عن العلوم في بلاد الرافدين تقسم الى مصدرين اساسيين الاول النصوص المسمارية والثاني البقايا الاثرية المختلفة وتشمل النصوص المسمارية على الوثائق السومرية والاكدية (البابلية والاشورية) التي اسهمت اسهاما كبيرا في مضامينها المختلفة في

القاء الضوء على المعارف الكيميائية والآلات والمواد النباتية والمعدنية المستخدمة في اعمال المعالجة والتصنيع أما المصدر الثاني من مصادر معرفتنا عن التكنلوجيا الكيميائية في بلاد الرافدين فهي البقايا الاثرية المختلفة التي تتمثل بالمنتجات الصناعية المختلفة والشواهد الفنية التي تظهر استخدامهم لبعض الامور التكنلوجية[٣] .

من ضمن الكثير من الامور التي برع سكان بلاد الرافدين في صناعتها (العطور) ولقد سميت بالسومرية (šim \ šem) ويلفظ بالاكدية (riqqu) [٤] .

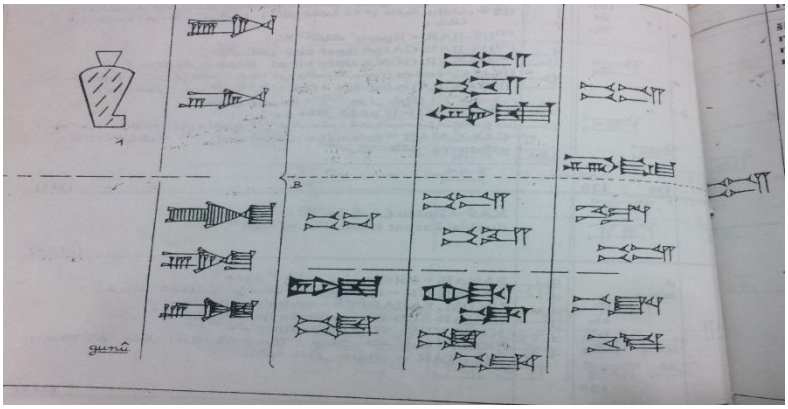

Labat ,R. ,Manuel D' Épigraphie Akkadienne ,MDA , Paris (١٩٩٤) , p .١٢٣

ان اهم مصدر للعطور هو النباتات الزيتية حيث انه جميع النباتات تحوي زيتا وان بعضها يحوي على كميات اكبر من الاخرى وهو يخزن عادة في الجذور والبذور ساعدت الظروف المناخية على زيادة حاصل هذه المنطقة من الزيوت خصوصا في فصل الربيع الدافئ في بلاد الرافدين وفصل الصيف الحار والجاف والذي يتميز بساعات مشمسة تؤدي الى نضوج البذور وتجعل حاصل هذه المنطقة من الزيت عاليا عموما [٥]. كانت العطور توضع في اوعية خاصة والتي عرفت بالسومرية DUG وعرفت بالاكدية karpatu[٦] ، لقد استخدم العراقيون القدماء العديد من الاواني والمواعين والمدقات والطواحن والهاونات التي استعملت في صناعة العطور ولم يصلنا من تلك الاواني والآلات الا القليل من خلال اعمال التنقيب وقد ذكرت في النصوص المسمارية وبخاصة في القوائم المعجمية [٧]، وقد ذكر في النصوص المسمارية انه العطور قد صنعت من مواد عدة أبرزها النباتات وكانت تصنع على شكل زيوت او بخور او مادة سائلة او تكون على شكل مرهم جلدي (لوشن) [٨]، وان العطور كانت تقاس ب (gur-pi-ban$_{٢}$-sila$_{٣}$) و (ma-na) وتقسم الى انواع متعدد حسب المواد التي تستخلص منها وكذلك تقسم الى عطور عادية(šem-us$_{٢}$) وعطور جيدة (šem-sig$_{١٠}$)[٩] وانه انواع عديدة قد ذكرت من العطور بالنصوص المسمارية ومن مركباتها الزيتي والدهني والمائي والمركب والبسيط ... الى اخره من مركبات [١٠]. لقد عثر المنقبون على اول جهاز للتقطير في تبه

كوره ويعود تقريبا الى ٣٥٠٠ ق . م . وهذا الجهاز عبارة عن وعاء فخاري ارتفاعه ٢٥ سم وقطره العلوي ٥٠ سم مصقول من الداخل وله حافتان الاولى داخلية والثانية خارجية ويفصل بين الحافتين قناة موقعها في اعلى الدورق وله فتحات الى الداخل يتم الاستخلاص بوضع المادة الخام وهي عادة من اصل حيواني او نباتي في القناة الموجودة في اعلى الدورق والمادة المستخلصة الماء او المواد العضوية الطيارة داخل الوعاء ثم يبدأ بتسخين الجهاز فوق النار بعد تغطيته بغطاء مناسب يبرد دوما . تتكثف الابخرة من غليان المادة المستخلصة بمجرد ملامستها للسطح البارد ويتجمع داخل القناة فتذيب جزء من المادة المراد استخلاصها وتنساب الداخل الوعاء ، وتستمر عملية التبخير والتكثيف حتى تتشبع المادة المستخلصة بالمواد المستخلصة .

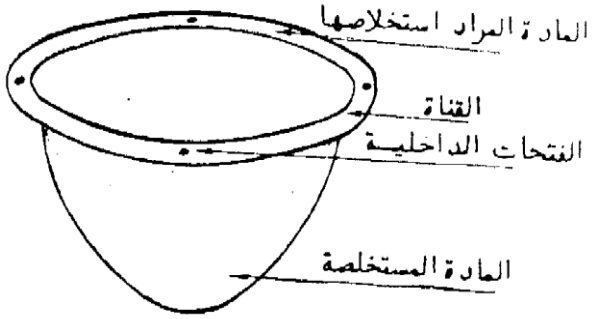

جهاز التقطير المصدر (فرج حبة ،الكيمياء وتكنولوجيتها في العراق القديم ، سومر ٢٥، ١٩٦٩ ، ص ٩٦)

اما بالنسبة للتقطير والتصعيد فتستعمل جرار كبيرة مشابهة في الشكل الى الدوارق المستعملة في عملية الاستخلاص سعة الاخدود الخارجي الذي تجمع فيه المواد المقطرة او المتسامية حوالي اللترين اما سعة الوعاء فتبلغ ٢٧ لتر هذا وتوضع المواد التي يراد تقطيرها او تساميها داخل الوعاء وتسخن هناك . تكثف الابخرة المتصاعدة عند ملامستها الى سطح الغطاء البارد وتتجمع داخل الاخدود او القناة الذي يخلو في مثل هذه الاجهزة من الثقوب الداخلية هذا ويتم نقل وجمع السوائل المقطرة من الاخدود بواسطة القماش بينما تنقل المواد المتسامية بواسطة ملاعق خاصة اما جمع هذه المواد فيتم كلما ارتفعت حرارة الغطاء اذ تبعد النار وتأخذ المواد من الوعاء [١١] .

اذكر نص مسماري بابلي يذكر فيه بتفصيل أحدى طرق صناعة العطور

((في المرة السابعة من الصب معا تسخن ال (tabilu) في ماء طازج جيد وتصبه في وعاء (hirsu) والان بها نصف سيلا من المر ونصف سيلا من الوج معصورة ومصفاة تسكب على الماء المسخن في وعاء (hirsu) دعها تلبث طوال الليل لتغدو رطبة ندية ومع نور النهار وشروق

الشمس تصفي هذا المحلول والنباتات العطرية بواسطة قماشة ترشح في وعاء (hirsu) ومن هذا الوعاء الى وعاء آخر ايضا (hirsu) ، نظم امر الحثالة وزن نصف سيلا من هذه المادة المصفاة التي بقيت طوال الليل مع النباتات العطرية السرو الخالص والمر والوج ونصف سيلا..... (جزء من النص مكسور)انك ستعالج هذا كالسابق ..... (جزء من النص مكسور) وسوف تصبه على حدة . وعليك ان تشعل النار تحت القدر (diqaru) ..... (جزء من النص مكسور) والماء الساخن وحين تغدو حافة القدر (diqaru) سميكة ..... (جزء من النص مكسور) دع النار ترتفع اكثر فاكثر وعند ذلك يكون ماؤك للمزيج مسخنا كفاية . ينبغي ان تصب الزيت وتحركه بالمحراك وعندما يتداخل ويتغلغل بعضه بعضا اعتن بالنار وغط قدر(diqaru) ودعه يلبث على (النار) يومين او ثلاثة ..... (جزء من النص مكسور) عليك ان تشعل النار وحين تذوب المواد المسخنة لن تعود بحاجة الى التحريك بقوة غط قدر(diqaru) ، برده أزل الزيت أغسل القدر ..... وأمسحه . ان هذا هو غسل المرة السابعة)) [١٢] .

متى ظهرت صناعة العطور ؟

يشير احد النصوص السومرية والذي يعود تاريخه الالف الثالث ق . م . ((ان الزيوت الجوهرية والخلاصات المائية التي تحمل هذه الزيوت تستخدم في وصفات محددة)) هذا ما ورد نصاً ضمن احد النصوص الطبية السومرية مما يشير ضمنا الى معرفة السومريون بصناعة العطور قبل ان تظهر النصوص المسمارية الاكدية قبل الف عام [١٣] .

ولقد اصبحت صناعة العطور معروفة بكثرة في العصر البابلي القديم في الالف الثاني ق.م. والدليل اللغوي على ذلك هو النص الذي ذكرناه سابقا [١٤] .

ان قائمة الاجهزة التي استعملها البابليون في صناعة العطور تظهر انها قد كانت نفس ادوات المطبخ في الالف الثاني ق .م . ما عدا بعض الاجهزة الخاصة بالتقطير والتصعيد وظهر منذ هذا العصر دلائل عدة الى مشاركة المرأة بالصناعة الكيميائية ومنها صناعة العطور [١٥] .

اما في العصر الاشوري فقد عثرت بعثات التنقيب على مجموعة من النصوص في مدينة اشور وبالتحديد في مكتبة الملك تجلات بلاسر الاول (١١١٤-١٠٧٦ ق . م) وتتميز بأنها تشبه بعضها البعض بالأسلوب والطريقة ويظهر ان تاريخها كان يعود في اليوم ٢٠ من شهر (Muhur - ilani) في عام (Limu , qatnu-qardu) وهذا يؤرخ هذا النصوص في عهد الملك الاشوري توكلي ننورتا الاول (١٢٤٣-١٢٠٧ ق . م) [١٦] ، وهنالك مجموعة اخرى من النصوص تتعلق بصناعة العطور جميعها ما عدا نص واحد قد جاءت من مدينة اشور في القرن الثاني عشر يشرح فيها

عمليات النقع والتخمير والغلي برفق للنباتات العطرية في الماء لعدة ايام وبعد ذلك يضاف الزيت لامتصاص المادة العطرية ثم تستخلص العطور من طبقة الزيت الرقيقة جدا [١٧] .

اهم استخدامات العطور :-

(١) مادة عطرية

حيث توضع العطور في اناء مع الملابس لتتشبع بها الملابس ونقرأ في نص (يوضع في وعاء نبات الاس ويسحق مع القصب المخول ويوضع على قمة السائل العطري) ومن المحتمل انه هذه طريقة لأعداد عطر ذو رائحة معينة ونقرأ في نص آخر (شخص يقول الى المرسل له أرسل لي اما حلي ذهبية أو فضية أو ملابس جديدة أو عطر وهذا يشير الى انه مكانة العطور هو قيمتها تعادل قيمة هذه المواد [١٨] .

(٢) الطقوس الدينية

حيث يستعمل كبخور في المعابد والاعياد الدينية والرسمية وتوضع في اواني امام المعابد وتذكر النصوص (انه توضع مواد عطرية من شجر العرعر في مبخرة وتستعمل في طقوس البكاء) وعندما تقدم القرابين يرش العطر في الذي يكون قد وضع في المرشاة [١٩] . ان هيرودوت المؤرخ اليوناني الشهير (٤٨٥-٤٢٥ ق .م) يذكر انه ((١٠٠٠ طالنت من البخور يتم كانت تستهلك سنويا في معبد الاله مردوخ في بابل)) [٢٠] .

(٣) استخدامات طبية

حيث انه المواد العطرية المستعمل بهذا المجال تستخرج بشكل رئيس من النباتات ، حيث نقرأ في احد النصوص (أنه هذه العطور قد جلبت من اجل المعالج) وبنص آخر (يسبق العطر وصفة المرهم) وبلوح آخر نقرأ (يخلط المستخلص من الغلي من المادة العطرية من نباتات الاس والسرو القصب الحلو) .

(٤) أسس المباني

مع المواد التي يتكون منها اسس المباني ويحتمل انه هذه المباني هي أسس القصور والمعابد حيث يذكر احد النصوص الاتي (دع الملك يأمر بتسليم المواد العطرية والدهن الجيد والتراب الاحمر والاحجار) والتي تستعمل بعمل الاسس بينما في نص آخر نقرأ (انا وضعت الاسس على قطع من النبات العطرية) ونص آخر (وضعت أكثر النباتات العطرية عبق في الاسس) .

(٥) جزية

تستخدم كأحد المواد التي تستحصل كجزية حيث نقرأ بأحد النصوص (وضعت في الاسس احجار ونباتات عطرية وهي جزء من جزية ملك saba) ولقد كانت العطور من أبرز الغنائم التي تأخذ من القبائل العربية حيث نقرأ بنص آخر (لقد استلمت مواد عطرية من ملك مصر وملكة العرب وملك مدينة العرب saba [٢١] .

نلاحظ من كل ما تم دراسته انه العمليات الكيميائية لم تكتب بطريق تعليمية للعامة من الناس وانما ضمن اطار المهنيين والصناع لهذا بقية اسرار صناعتها محصورة بين افراد الاسرة اي من الاب الى ابنه وحتى ما عثر عليه من معلومات بالنصوص المسمارية كان محصوراً بين افراد المهنة سواء كان العاملون بهذه الصناعة يعملون بشكل منفرد بالقطاع الخاص او العام (التابعين للمعبد او القصر) من كل هذا نستنتج ان الكيميائيين في بلاد الرافدين كانوا على مستوى عالي من المهارة على الرغم انه اجهزتهم لم تكن على مستوى عالي من التعقيد لكن معالجاتهم العلمية قد قطعت شوطاً كبيراً بسبب استمراراها لعدة عصور وهذا ما تؤكده المعلومات التي حصلنا عليها من نصوص الصناعات العطرية البابلية حيث نقرأ فيها عمليات النقع والتسخين واستخلاص العطور باستعمال الماء او الزيت أو كليهما وعمليات الترشيح والتصفية والاذابة والتقطير.

نستنتج من دراستنا الى الكيمياء والصناعات العطرية بشكل خاص للاتي :-

١- الاهتمام بالنار ومعرفة استخدامها ضمن العمليات الكيميائية ومعرفة كيفية التسخين ورفع وخفض درجات الحرارة وتأثيرها على المواد المسخنة .

٢- ظهور الصناعات العطرية من العصور السومرية المبكرة وتطورت على مدار العصور البابلية والاشورية الى مستويات اكبر .

٣- تستخلص العطور من مواد متنوعة اهمها النباتية وتختلف درجة قوة عبقها وتصنع على شكل مواد زيتية او سائلة او خليط او بخور .

٤- استخدامات العطور قد تنوعت من استخدامه كمادة عطرية واستخدام آخر ضمن الطقوس الدينية وكذلك يستخدم بكثرة في الطقوس الدينية ويوضع ضمن اسس المباني واخيرا لكونه مادة ثمينة كان يعد من المواد المهمة ضمن الجزية والضرائب على البلدان الخاضعة لسيطرة بلدان اخرى .

٥- تمتاز الصناعات العطرية بغياب القضايا الغيبية والسحرية في عمليات هذه الصناعة اي انها صناعة علمية بحته .

٦- ظهر دور الى المرأة في الصناعات العطرية [٢٢] .

الهوامش :-

(١) نوالة أحمد محمود المتولي ، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية (المنشورة وغير المنشورة)، بغداد ، ٢٠٠٧ص٢٥١ .

(٢) فوزي رشيد ، ظواهر حضارية وجمالية من التاريخ القديم ، دمشق ، ٢٠١١، ص ١٨٥.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨٦ .

(٤)

Black ,J. ,& Green ,A. & Postgate ,N. A Concise Dictionary of Akkadian , (CDA) , Wiesbaden (١٩٩٩), p. ٣٠٥ ; Labat ,R. ,Manuel D' Épigraphie Akkadienne ,(MDA) , Paris (١٩٩٤) , p .١٢٣

(٥) دانيال تي بوتس ، حضارة وادي الرافدين الاسس المادية ، ترجمة كاظم سعد الدين ، مراجعة اسماعيل حسين حجارة ، الهيأة العامة للأثار والتراث ، بغداد ، ٢٠٠٦ ، ص ١١١-١١٢

(٦) Labat ,R. ,Manuel D' Épigraphie Akkadienne ,(MDA) , Paris(١٩٩٤) , p .١٤١

(٧) فاروق الراوي ،" العلوم والمعارف "، حضارة العراق ،ج٢، بغداد ، ١٩٨٥، ص ٣٤٢

(٨) فرج حبة ،الكيمياء وتكنولوجيتها في العراق القديم، سومر٢٥، ١٩٦، ص ٩٦

(٩) مهند عاشور شناوة ،نصوص مسمارية غير منشورة من العصر السومري الحديث في المتحف العراقي ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الاثار ، ص ١١٧-١٢٠

(١٠)صباح اسطيفان كجه جي، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين ، بغداد ، ٢٠٠ ،ص ١٠٤

(١١)فرج حبة ،الكيمياء وتكنولوجيتها في العراق القديم، سومر٢٥، ١٩٦، ص ٩٦-٩٧

(١٢)مارتن ليفي ، الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ١٨٨

(١٣)المصدر نفسه ، ص ١٨٤

(١٤)) طه باقر ، وفاضل عبد الواحد علي ، وعامر سليمان ، تأريخ العراق القديم ، الجزء الثاني ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ١٩٣ ; فاروق الراوي ، المصدر السابق ، ص ٣٤٦

(١٥)مارتن ليفي ، المصدر السابق ، ص ١٨٧

(١٦)المصدر نفسه ، ص ١٨٥

(١٧)هاري ساغز ، عظمة اشور ، ترجمة خالد أسعد عيسى و احمد غسان سبانو ، دمشق ، ٢٠١١ ، ص ٢٧٥

Gelb,I.J. and Others , The Chicago Assyrian Dictionary ,r,CAD,r, ,(١٩٥٦ff),p.٩٦٣(١٨)

(١٩) CAD,r,p٣٦٨-٣٦٩

(٢٠) مارتن ليفي ، المصدر السابق ، ص ١٨٤

(٢١) CAD,r,p٣٧١

(٢٢)مارتن ليفي ، المصدر السابق ، ص ١٩٥– ١٩٨